نشأة الأشكال الخرافية ما بين مصر وبلاد الشرق الأدنى

د.أحمد سعيد
مدرس بكلية الآثار - جامعة القاهرة

مما لاشك فيه أن التشابه في الأفكار الحضارية بين بلاد الوطن العربي ، التي تدخل في حيز الشرق الأدنى القديم ، يشير إلى أن التواصل والتبادل الحضاري والفكري بداية من ما قبل التاريخ كان موجوداً بين تلك البلاد ، سواء أكان هذا التبادل خلال هذه الفترة السحيقة قد تم عن طريق الاحتكاك أم عن طريق توارد خواطر الإنسان هنا وهناك ، والذي جاء نتيجة للتشابه البيئي ولتقارب المعتقدات. ولكن ليس بالضرورة أن ظهور عناصر فنية أو معمارية متشابهة في بلدين في آن واحد أو حتى في حقبتين متتاليتين قد يعنى غزو بلد لأخرى قامت بتعليمها أصول الحضارة !

فعلى سبيل المثال نرى أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر وهناك محاولات من بعض العلماء الأجانب للتأكيد على أن المدنية المصرية بدأت فجأة بالأسرة الأولى ، وأنها لم تنشأ في مصر بل طرأت عليها مع وافدين غزوها غزوا سلميا وربما حربيا ، بينما اختلف هؤلاء العلماء على الجهة التي نزح منها الغزاة ، أهي من الشرق أم الشمال الشرقي أم من الجنوب أم الشمال ، حيث علموا مصر الزراعة والكتابة وصناعة المعادن وتشييد المباني وأدخلوا إليها ديانتهم وأسس نظام الحكم ![1]، ومن ثم بدأ هؤلاء العلماء يسوقون أدلتهم على ذلك ، مثل أن مصر لم تعرف العصر الحجري ! وأن استعمال النحاس قد ظهر فجأة ولابد أن يكون معدنه قد أتى من الخارج! وأن استخدام الضمائر في اللغة المصرية وفد إليها من أصحاب اللغة السامية الغزاة ! وأن العنصر المعماري للداخلات والخارجات في مقابر ملوك العصر العتيق بسقارة ليس مصريا أصيلا ! وأن القوم الذين أشير إليهم " بأتباع حورس " قد وفدوا إلى مصر من الجنوب وغزوها ![2] وأخيرا أنه وجد على بعض الآثار في مصر خلال عصر ما قبل الأسرات حيوانات خرافية وجد شبيه لها في بعض بلاد الشرق الأدنى وأنها آتية من هناك؟ وغير ذلك من الأدلة التي فندتها الحقائق العلمية ولسنا بصدد سردها الآن ، إلا أنها قد أثبتت أن أسس الحضارة قد نشأت وتطورت في مصر

[1] انظر : عبد القادر حمزة ، على هامش التاريخ المصري ، جـ ١، ص ٢٣ وما بعدها

[2] عن أتباع حورس والآراء المختلفة في ما هيتهم انظر :
K.Sethe, Beiträge zur ältesten Geschichte (UGAÄ 3) Ägyptens, Leipzig, 1903, 1ff ; Kees, NGWG, 1927, 196ff. ; Ch. Bseneck, MIFAO 50 (1924), 85 ff. ; von Bissing, Re-Heiligtums I, 1922, 24ff ; Helck, Archiv Orientalni 18 (1950), 1ff ; von Beckerath, MDAIK 4 (1956), 1 ff ; id., LÄ III, 51-52 ;cf. A.Eissa, Upuaut, 1989, 59ff ; Helck, Thinitenzeit, 52 ff .: Ahmed Saied ,Götterglauben und Gottheiten in der Vorgeschichte und Frühzeit Ägyptens ,381ff...,

وخطت فيها خطواتها واحدة بعد الأخرى منذ العصر الأيوليتى حتى بداية الأسرات [٣].

والجدير بالذكر أن أصول الحضارة في العراق قد لاقت أيضا نفس التشكك من العلماء حين تعرضوا إلى أصول الشعب السومري وهل أتى من أواسط آسيا مثلا أومن شبه الجزيرة العربية أومن وراء القوقاز أو غيرها ، ومدى علاقته بالسكان الأصليين في أرض العراق قبل قدوم السومريين والذي يرجع لهم البعض وضع اللبنات الأولى للحضارة التي ازدهرت بعد ذلك في بلاد سومر وهكذا[٤].ورغم تعدد الآراء فإن هناك من يرى أيضاً ، أن السومريين امتداد طبيعي لأقوام العصور السابقة عليهم في بلاد ما بين النهرين ، وأن حضارتهم أصيلة في العراق ، بل ويمكن اعتبار أهل العبيد هم أجداد السومريين .[٥]

و ما يهمنا في بحثنا الآن هي تلك الأشكال أو الكائنات المركبة أو الخرافية التي لعبت دوراً مهماً ضمن بعض المفاهيم الدينية والسياسية خلال مراحل التاريخ الحضاري القديم لمصر وبعض البلاد التي تجاورها في الشرق الأدنى مثل بلاد ما بين النهرين والشام وإيران [٦]. حتى أن بعض تلك الأشكال استمرت تظهر في التصاوير حتى وصلت إلى الحضارة الإسلامية .

ولذا فإنه من الأهمية دراسة نشأة هذه الأشكال الخرافية أو المركبة ، والتي جمعت تارة ما بين أجزاء من حيوانات وزواحف وطيور مختلفة ، وتارة ما بين أجزاء حيوانية وأجزاء من جسم الإنسان، والجدير بالذكر أن مثل هذه الأشكال قد ظهرت خلال الحضارة المجدلينية في أوربا إبان العصر الحجري القديم الأعلى حيث صور على جدران "كهف الأخوة الثلاثة" بجنوب فرنسا مخلوق أطلق عليه ساحر كهف الأخوة ، يقف في انحناءة خفيفة على ساقين آدميتين وله وجه البومة وقرني وعل وذيل حصان تخرج من مؤخرة أسد، وقد رأى فيه البعض ساحراً متنكراً في زي حيوان[٧] (انظر لوحة ١ شكل ٢) .

إلا أن البحث سيركز هنا بطبيعة الحال على فترة فيما قبيل التاريخ أو فترة بدايات معرفة الكتابة في الشرق الأدنى (من حوالي ٣٥٠٠الى ٣٠٠٠ ق.م) .

فقد ظهرت تلك الأشكال في مصر خلال عصر ما قبل الأسرات على آثار مختلفة مثل الصلايات ومقابض السكاكين ، بينما ارتبط معظمها بديانة الشمس . أما في العراق فقد ظهرت على الأختام الأسطوانية وجسدت في المنحوتات وغيرها منذ حضارة "الوركاء"، حيث ارتبطت ببعض الأساطير الدينية ولاسيما أسطورة " جلجاميش" .

---

[٣] عبد القادر حمزة ، المرجع السابق ، قارن محمد عبد الغنى سعودى ، "الحضارات المصرية القديمة أصيلة أم وافدة " ، المؤتمر الأنثروبولوجى الثاني / أنثروبولوجيا مصر : مصر أفريقيا ، المجلد الثاني ، تحرير السيد حامد، كلية آداب بنى سويف ، القاهرة ١٩٩٨ ٩٩ وما بعدها

[٤] انظر : فراس سواح ، مغامرة العقل الأول / دراسة في الأسطورة ،سوريا وبلاد الرافدين ، ١٩٩٣،٣١ ؛ عامر سليمان، القانون في العراق القديم ،١٩٧٧، ٢٤ ؛ أحمد سوسة ، حضارة وادى الرافدين بين السامين والسومرين ، ١٩٨٠، ١٠ وما بعدها ؛ محمد بيومى مهران ،دراسات في الشرق الأدنى القديم ، ١٩٩٨ ، ٩٣ وما بعدها ،

[٥] محمد بيومى مهران ، المرجع السابق ، ٤٣

[٦] انظر :

Teissier,B., Glyptic Evidence for Aconnection Between Iran,Syro-Palestine and Egypt in the Fourth and Third Millennia , IJPS 25, (1987), 27-52.

[٧] سيد توفيق ، تاريخ الفن فى الشرق الأدنى ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ٤٨ ؛ فراس سواح ، دين الإنسان/بحث في ماعية الدين و منشأ الدافع الديني ،دمشق ١٩٩٤ ١٨٤

وفى إيران ظهرت أيضا تلك الأشكال خلال الفترة التي تسمى ما قبل العيلامية إبان حضارة "سوسة[٨]". وفى بلاد الشام ظهرت أيضا في تلك الفترة الكائنات المجنحة وكذا الكائنات ذات الرأسين [٩]

وهنا يطرح دائما التساؤل عن العلاقة بين بلاد الشرق الأدنى ولاسيما مصر والعراق ومدى المبادلات أو التأثيرات بينها ؟ وهل فكرة الأشكال الخرافية قد ابتكرت في العراق وأخذتها مصر كما يرى عدد غير قليل من الباحثين [١٠] ؟ أو العكس هو الصحيح ؟ ، أو أن هناك تقاربا فكريا عاما وتوارد خواطر بين أقطار الشرق الأدنى ، ناتجا عن تفاعل الإنسان آنذاك مع بيئته التي تتقارب في تلك الأقطار إلى حد ما كما أسلفنا ، إلا أن هناك اختلافا في المفاهيم الدينية الخاصة نتيجة اختلاف المقومات البيئية والحيوية في كل بلد على حدة ؟ حيث إن كل فكر له طابعه الخاص المنبثق من بيئته الطبيعية والبشرية وتجاربه الموروثة والمكتسبة ولو تشابهت وسائل التعبير عن هذا الفكر [١١] .

ثم يأتي سؤال آخر يشير إلى مدى الاعتراف بنشأة الأشكال الخرافية في بلد دون الأخرى بناء على استمرارية التعبير بها في قطر ، وتقطع ظهورها أو اختفائها في قطر آخر؟ وهل هذا يرجع فعلا إلى انتماء النشأة لبلد بعينه دون الأخرى ؟ أو اختلاف تطور الفكر الديني الذي أدى إلى بقائها في بلد ، واستبدالها بوسائل تعبيرية أخرى عن نفس الفكرة التي كانت تحملها؟ كل هذه التساؤلات دفعت الباحث إلى محاولة الإجابة عليها .

ونشير هنا مرة أخرى إلى أنه من المؤكد أن حدود بلاد الشرق الأدنى كانت مفتوحة خلال الفترة التي نحن بصددها ، وكانت هناك اتصالات إما عن طرق التجارة أو القبائل الهائمة بين الحدود ، وقد يكون هناك تأثيرات حضارية متبادلة ، اشتملت على جوانب مختلفة من الحياة اليومية كالعادات والمعتقدات والمصطلحات اللغوية وخلافه ، إلا أن زيادة أو قلة تلك التأثيرات قد توقفت بلا شك على الموقع الجغرافي لكل بلد ومدى حصانتها الطبيعية ثم مدى قربها أو بعدها عن بقية البلاد الأخرى ، فمثلا حين نفترض تأثر بين مصر وإيران أو مصر وبلاد شبه الجريرة العربية سيحتاج ذلك إلى تفكير أكثر من افتراض تبادل حضاري بين مصر وبلاد الشام أو بين العراق وإيران أو الشام وشبه الجزيرة وهكذا .كما أن هناك بلاد واجهت باستمرار هجرات وتحركات بشرية كثيرة على أرضها تبعا لموقعها أيضا

---

[٨] عن حضارة "سوسة " انظر : P.Amiet, Suse 6000 ans d`histoire , Paris 1988

[٩] انظر : حسنى عمار ، مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر العتيق / دراسة مقارنة للتأثيرات الحضارية المتبادلة ، القاهرة ١٩٩٩ (رسالة ماجستير ، غير منشورة كلية الآثار - جامعة القاهرة) ، ١٤١-١٤٢

[١٠] انظر : هنرى فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خورى ، ١٩٦٥ ، ١٣٧ وما بعدها الغريب أن أصحاب هذا الرأي مازالوا مختلفون في تحديد الزمان الذي تم خلاله الاتصال بين العراق ومصر وكيفيه وكذا المكان الذي تم فيه ، والذي يرى البعض أنه كان عن طريق الطرق المؤدية من البحر الأحمر عبر الجزيرة العربية إلى الخليج العربي أي من ناحية جنوب بلاد النهرين! .
H. Kantor, JNES 11(1952), 250

[١١] على سبيل المثال كان الإله الرئيسي والأول في الفكر الديني العربي القديم هو إله القمر والذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالقوافل التجارية والبيئة الصحراوية حيث كان القمر خير مرشد لتلك القوافل في رحلتها ، انظر : رشيد الناضورى ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، بيروت ، ١٩٧٦، ١٤٩ .

وحدودها المفتوحة أدت إلى زيادة اكتساب السمات البشرية والاجتماعية الخارجية وكذا تعددت فيها الأنماط الحضارية ، وهناك بلاد لم تواجه ذلك بطبيعة الحال .

ثم إذا افترضنا مثلا تأثير حضاري بين مصر والعراق فيجب أن نعترف مباشرة بأن تلك التأثيرات قد ذابت سواء هنا أوهناك في نمط حضاري مستقل أوفي طابع إقليمي خالص. كما أن كل تأثير لا يعنى غزو أصحاب التأثير للبلد المتأثرة أو استقرارهم بشكل ما في أرضها . ونشير هنا مثلا إلى بلاد الهلال الخصيب التي تشتمل على الشام وبلاد النهرين وتصل إلى سوسة وسيالك ، والتي رغم تواجد عناصر اتصال فعالة بينها فقد احتفظ كل نمط فكرى ديني بخصائص حضارية معينة ومميزة له.

والجدير بالذكر أن الحديث عن التبادل الحضاري فيما قبل الألف الثالث قبل الميلاد يختلف عند الحديث عنه إبان العصور التاريخية مع زيادة الوسائل التي يتم بها هذا التبادل (التجارة ، الهجرات السلمية ، الحروب ، الأسرى) .

ونعود إلى الكائنات الخرافية ، والتي اشتملت على عدة نماذج مثل :-

١.الجريفون (الجريفث) أو الكائنات المجنحة والذي ارتبط أشهرها في الشرق بأسماء "لامسو" أوشاروبيم[١٢]

٢.الحيوان ذو الرأسين

٣.الكائن ذو الرأس والجسد المنتميين لفصيلة الأسود أو النمور، بينما الرقبة ثعبانية الشكل .

٤.الكائن ذو جسم الإنسان ورأس الحيوان

٥.حيوان ست في مصر

ونستعرض الآن علاقة تلك الأشكال المركبة بالمعتقدات الدينية في كل من العراق وبلاد الشام ومصر مع الاستشهاد أحيانا بإيران كما يلي - :

عندما نتحدث أولا عن الفكر الديني العراقي أو نشأته السومرية[١٣] سنجده على العكس من الفكر الديني المصري قد نما في بيئة أرضية ومناخية ونهرية لا تنعم بالاستقرار ولا تؤدى إلى الطمأنينة بل تتصف بالتقلب والتغير المستمر ، الذي يؤدى دائما إلى تهديد حياة الإنسان وإلحاق الصعاب بكل جوانب معيشته الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، لذا لجأ الإنسان العراقي منذ ما قبل الأسرات في معتقداته إلى البحث عن القوى الخفية الخيرة والشريرة التي اعتقد بتحكمها في عالمه الدنيوي،[١٤] وبجانب الإيمان بآلهة السماء التي أخذت الحيز الكبير في تفكيره ، وبأن الخلود للآلهة فقط بينما ينعم الإنسان بخدمتها[١٥] وإرضائها حيث إن حياته ليست أبدية فإنه يرى أن الموت يعنى انفصال الروح عن الجسد والتي تتحول إلى مخلوق آخر بطريقة

[١٢] عن أصل هذه الكلمة انظر : في هذا المجلد مقالة الزميل د. حسين رمضان

[١٣] انظر : خزعل الماجدى ، الدين السومرى ، عمان ، ١٩٩٨

[١٤] رشيد الناضورى ، الفكر الديني ، ٥٣ وما بعدها

[١٥] انظر : خزعل الماجدى ، المرجع السابق ،٤٧- ٤٨

غامضة أشير إليها في ملحمة جلجاميش ضمن حديث "انكيدو" إليه عندما قص عليه رؤياه عن الموت أثناء مرضه :-

"كانت السماء ترعد فاستجابت لها الأرض ، وكنت واقفا وحدي فظهر أمامي مخلوق مخيف مكفهر الوجه ، كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة (زو) ومخالبه كأظافر النسر، لقد عراني من لباسي وأمسك بي بمخالبه وأخذ بخناقي حتى خمدت أنفاسي ".

ومن هذه الفقرة نستدل على أن العراقيين كانوا يتصورون روح الميت بهيئة مخلوق له جناحان من ريش[١٦]. وحين إيداع الجسد في القبر تذهب الروح إلى عالم الأرواح أو عالم ما بعد الموت ، إلا أن أرواح الذين لم تدفن أجسادهم أو الذين لم يتلقوا القرابين كما يجب طبقا للشعائر تكون أرواحهم قلقة غير مستقرة ، وتعود بطريقة ما إلى عالم الأحياء لإحداث الأذى بسكانه حيث تصبح شبحا أو روحا خبيثة يطلق عليها "الاطمو" كما يذكر نائل حنون. وكانت الأرواح بشكل عام سواء خيرة أو شريرة تمتلك قوة خارقة للطبيعة[١٧].

ومن هنا أتت أيضا فكرة البطل الأسطوري في العراق ، الذي يهيمن على الحيوانات الشرسة سواء الطبيعية أو الخرافية ، حيث جسد هذا البطل إما بجسم إنسان وأطراف أمامية أو خلفية لأسد أو جسم بشرى مركب مع أجزاء ثور وأجزاء أسد ، ويطلق عليه "الإنسان الثور " [١٨]. وقد ارتبطت فكرة البطل الأسطوري المصارع بعد ذلك بأسطورة جلجاميش وكفاحه في العالم السفلي لكي يصل إلى صديقه "انكيدو[١٩].

إذاً فقد ارتبطت الحيوانات الخرافية والمركبة في العراق بالأرواح الخيرة الحارسة والمفيدة أو الأرواح الخبيثة ، وهذا يفسر استمرارية ظهور تلك الحيوانات خلال التاريخ العراقي القديم [٢٠] مثل ارتباطهم خلال العصر الكاسى(١٦٠٠ ق.م وما بعدها) بشجرة الحياة في المناظر، وكذا ظهور الكائن المركب من جسم ثور أو أسد ورأس آدمي "لامسو" كحارس لمداخل القصور والمعابد خلال العصر الآشورى (لوحة ٢ : شكل ١) الجدير بالذكر أن تلك الفكرة تبنتها الديانة الزرادشتية [٢١] في إيران حيث عبرت عن الأرواح بمخلوقات تجمع في أشكالها بين الإنسان والطير والحيوان.

هذا وقد ظهرت الأشكال الخرافية في العراق منذ حضارة الوركاء وجمدة نصر (٣٥٠٠ إلى ٢٨٠٠ ق.م تقريبا)، ضمن نقوش الأختام الأسطوانية ، والتي اشتملت على عدة مواضيع تصويرية متنوعة، كالمواكب الدينية ، ومناظر تقدمة القرابين ، والمعارك ، والحيوانات البرية ، ومهاجمة الحيوانات المتوحشة للحيوانات الداجنة[٢٢].

---

[١٦] نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت / في حضارة بلاد وادى الرافدين القديمة ، ١٩٨٦ ،١١٠-١١١

[١٧] نفس المرجع ، ١٢٥

[١٨] انطون مورتكات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سليمان وسليم طه التكريتى ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ٩٤

[١٩] انظر : نائل حنون ، المرجع السابق ، ٣٣٩ وما بعدها.

[٢٠] انظر : رشيد الناضورى ، المرجع السابق ، ١٠٦-١٠٧.

[٢١] نسبة إلى الفليسوف زرادشت الذي ظهر حوالي القرن السادس ق. م في إيران انظر : سليمان ظاهر ، قصة الديانات ، ٢٥٩ وما بعدها .

[٢٢] انطون مورتكات ، المرجع السابق ،٤١-٤٣.

وقد اشتملت المخلوقات المركبة على هيئة النسر الذي له رأس أسد ، والأسد ذو الرقبة الثعبانية [٢٣] ، والرجل الثور وأخيرا الجريفث . (لوحة ٢: شكل ٢، لوحة ٣، لوحة ٤) . كما ظهرت بعض هذه الكائنات ضمن نقوش الأختام التي ترجع إلى حضارة "سوسة " بإيران (لوحة ٥: شكل ١). وقد مثل الفنان العراقي الهيئة المركبة من جسم إنسان ورأس حيوان في المنحوتات التي ترجع لعصر الوركاء أيضا (لوحة ٥ : شكل ٢) .

أما عن **بلاد الشام** فقد ارتبطت معتقداتهم منذ البداية ارتباطا وثيقا بالخصوبة سواء الخاصة بالإنسان أو الحيوان وطبعا بالنبات ، فكما أشارت أساطيرهم الاوجاريتية فيما بعد أن الصراع الدائم بين إله الخصوبة " بعل "[٢٤] وإله الموت والعقم " موت " لا يهتم به في ذاته بل بنتائجه التي ستحدد ما سوف تكون عليه الأرض خصبة أو مجدبة لفترة طويلة[٢٥]، ولم يصارع بعل إله الموت فقط بل كان له أعداء آخرون مثل اله البحر " يم " وخلافه . وتحكى الأساطير أن بعل تعرض لكثير من الصعود والهبوط حيث قتل في كثير من دورات الجدب والحرمان ونهض في كثير من دورات الخصب والوفرة ، وكانت كثرة صعوده وهبوطه أمرا طبيعيا بحكم سمات الطبيعة ذاتها في بلاد الهلال الخصيب . وما يهمنا هنا هو أن أعداء بعل كانوا غالبا بأكثر من رأس وقد يصلوا إلى سبعة رؤوس[٢٦] ، ولذا فنحن نفترض أن فكرة الحيوان الخرافي الذي ظهر على الآثار في سوريا فيما قبل التاريخ أو خلال عصر البرونز المبكر(٣٦٠٠ إلى ٣٠٠٠ ق.م تقريبا) والمصور برأسين ، ربما يشير إلى بداية الاعتقاد في هيئة الآلهة الأعداء الخرافية (قارن الإله ست في مصر) ، حيث ظهرت تلك الأشكال تارة برأسي ظبي وتارة برأسي أسد وخلافه ، ضمن نقوش طبعات الأختام أيضا في بلاد الشام ، في" جبل عرودة " بسوريا و"جبيل" في لبنان[٢٧](لوحة ٦ : شكل ١) كما ظهرت خلال ذلك العصر أيضا هيئة الحيوانات الخرافية المجنحة بأجنحة مبسوطة على الأختام الأسطوانية السورية والفلسطينية، وإن اتخذت أشكالا تجريدية[٢٨].(لوحة ٦ : شكل ٢).

وإذا انتقلنا إلى **مصر** فإننا سنشير فقط إلى أبرز معتقداتها المرتبطة بالعناصر الكونية وهى **عبادة الشمس،** حيث لاحظ المصري منذ عصور ترحاله مدى تأثير هذا النجم الضخم على كل شئ في حياته وبدأ يرهب جانبها ويقدسها ، وقد ظهرت وثائق العبادة الشمسية منذ حضارة نقادة الأولى(حوالي ٣٧٠٠ ق.م) حيث صور المصري شمس الشروق وشمس الغروب وكذا أفقي السماء والمياه الأزلية على أحد الأطباق الفخارية [٢٩].وارتبطت تلك العبادة بالإله رع إله السماء وخالق العالم الذي يشرق في

[٢٣] يطلق عليه مورتكات " التنين الذي يشبه الأفعى " نفس المرجع ،٤٣.
[٢٤] كان الإله بعل أيضا رباً للجبال والعواصف والزوابع والبرق والمطر والبخار بجانب الخصوبة .
[٢٥] سيروس هـ جوردون ، في، أساطير العالم القديم ، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف ، ١٥٨ وما بعدها .
[٢٦] سيروس هـ جوردون المرجع السابق ، ١٧٦-١٧٧.
[٢٧] حسنى عمار ، المرجع السابق ، ١٤٤-١٤٥ .
[٢٨] نفس المرجع ، ١٤٦-١٤٧.
[٢٩] انظر : على رضوان ، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات ، القاهرة ١٩٩٩، ٦٤ ، شكل ٩٤.

أفقه ويضئ العالم بنوره الساطع وملك الآلهة ومن يقرر موقع الأبرار في العالم الآخر إلى آخره ، [٣٠] وكان المصريون يعتقدون أن هذا الإله يخترق السماء في سفينته التي سميت بالنهار معنجت وبالليل مسكتت وهى تلك التي يسبح بها وراء الأفق الغربي ويشرق علي عالم الأموات كما نرى في المقولات ١٤٩ ١٠٢٩ -١٠٣١من متون الأهرام مثلا[٣١] وقد سعى الفرعون دائما إلى أن يكون في معية الإله في مركبته وهو ما سعى إليه الأفراد بعد ذلك وهنا افترض المصريون أن رحلة الشمس تحفها دائما المخاطر ولابد من حمايتها وإزاحة أعدائها من أمامها حتى تكتمل دورتها يوميا ليلا ونهارا ، وبطبيعة الحال فقد أتت فكرة الأعداء من طبيعة السحب وغيرها التي تعترض رحلة الشمس ، لكن رع كما تشير متون الأهرام يمزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد،(المقولة ٥٠٠)[٣٢] وقد تولى تلك المهمة عدد من الآلهة أمثال حورس وست في بعض الأحيان كما طالعتنا وثائق العصور التاريخية ، وكذا هناك ما ذكر في الفصل ١٨ من كتاب الموتى[٣٣] عن انتصار رع و اوزيريس علي أعدائهم ، ونعرف أيضا أن الثعبان آبوفيس كان أشد أعداء الشمس قوة وخطرا.[٣٤] وكانت السمكة "أبدو" تخبر دائما الإله رع عن قرب هذا العدو.[٣٥]

أما فيما قبل التاريخ فقد نشأت تلك الفكرة مرتبطة بما لعبه الفن وامتاز به عقل المصري من خيال خصب حيث ظهرت فكرة حيوانات الشمس الرافعة والحامية لها والمدافعة عنها والمهاجمة لأعدائها الذين صوروا في هيئة حيوانات أضعف [٣٦]. وقد جسدت تلك الفكرة على سطوح الصلايات ومقابض السكاكين ومقمعة السيالة ، بينما رمز المصري للشمس ببؤرة الصلاية وكذا بالوردة المورقة ، واشتهرت من تلك الحيوانات الحامية والمدافعة الثعابين والأسود وغيرها وكلها استمرت على علاقة بالديانة الشمسية بعد ذلك كما تتبعها باقتدار العالم الألماني الشهير " فيستيندورف " ، هذا فضلا عن تلك الحيوانات التي نحن بصددها وهى *الحيوانات الخرافية والمركبة*، التي صورت حامية ورافعة للشمس ومهاجمة لأعدائها كم أسلفنا ، والتي تشابهت مع مثيلتها في العراق مع اختلاف الغرض من تصويرها كما نرى ، وهى "الجريفث " والكائن ذو الجسد والرأس من فصيلة النمر والرقبة الثعبانية .

---

[30] W.Barta, LÄ V., 165-180;J.Assmann,LÄV,1087-1094

[31] K. Sethe, Altaegyptischen Pyramidentexte, I, 85, II,76-77.
R.O.,Faulkner ,The Ancient Egyptian Pyramid Texts, 42,172.

[32] Sethe, Op.cit, I, 258; Faulkner, Op. cit., 97-98.

[٣٣] انظر : والس بدج ، برت إم هرو كتاب الموتى (عن بردية آني بالمتحف البريطاني) ، ترجمة فليب عطية ، القاهرة ١٩٨٨،ص٥٦ وما بعدها .

[٣٤] ادولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر و أنور شكرى ، ٢٠-٢١ ؛ عن أعداء الشمس انظر : W.Schenkel, LÄIV,360;

[35] I.Gamer-Wallert, LÄI,3

[٣٦] بالنسبة لفكرة حيوانات الشمس انظر :- W.Westendorf, MÄS 10 (1966), 23, 37, 51 ; id., SAK 6 (1978), 201 ff ; id., ÄAT 1 (1979), 432 ff ; cf.. Westendorf, in : Fest Will, 1966, 207-208 ;id..,GM 25 (1977), 95 ff ; id.., ZDMG 118 (1968), 253-255 ., Ahmed Saied, Op.cit., 22-23.

وقد ظهرت تلك الكائنات الخرافية على الآثار التالية ، والتي تؤرخ بفترة نقادة الثالثة [٣٧] :

١.**صلاية الأربعة ابن آوى** [٣٨]/ متحف اللوفر[٣٩] . يظهر على **واجهة الصلاية** الكائن ذو الرقبة الثعبانية حاميا لبؤرة الصلاية الممثلة للشمس .(لوحة ٧ : شكل ١)

٢.**صلاية حيوانات الشمس** / المكتشفة بأساس معبد حورس في هيراكونبوليس(الكوم الأحمر) / متحف الاشموليان، أكسفورد [٤٠] ، يظهر على **واجهة الصلاية** اثنان من الكائنات ذات الرقبة الثعبانية وهما يلتهمان غزالا يمثل هنا عدو الشمس ، وفي نفس الوقت يحميان بؤرة الصلاية الممثلة للشمس والمرفوعة بواسطة أحد الأسود ، بينما نرى في القمة أحد الطيور الذي يرى فيه "فيستيندورف" إشارة إلى طائر " نح" الذي ارتبط خلال العصور التاريخية باله الشمس .[٤١] وفى أسفل الواجهة تظهر مجموعة حيوانات متوحشة تهاجم حيوانات أضعف تمثل أعداء الشمس ، ونفس تلك الفكرة مثلت على **ظهر الصلاية** ، بينما ظهر الجريفث المجنح كأحد الكائنات المدافعة ، والمصور برأس طائر ومؤخرة أسد.(لوحة ٧ : شكل ٢).

٣. **صلاية المتروبولتان** [٤٢]، مثلت بؤرة الصلاية المشيرة إلى الشمس ، في شكل ثعبان ملفوف ، بينما يرفعها الكائن ذو الرقبة الثعبانية وفوقها يظهر السرخ الخاص بأحد زعماء أو ملوك الأسرة صفر ، مما يدل على نسبة مثل تلك الصلايات إلى تلك الفترة . (لوحة ٨ : شكل ١).

٤.**سكين جبل الطارف**[٤٣] ، نقش مقبض هذا السكين من الوجهين ، أولهما يظهر الزهرة - التي ترمز للشمس أيضا مثل بؤرة الصلاية - مكررة ويحميها ثعبانان [٤٤]، أما الوجه الثاني فيظهر عليه نفس الزهرة مع الحيوانات المتوحشة التي تمثل المدافعين عن الشمس وهى تهاجم حيوانات أضعف تمثل أعداء الشمس، ومن ضمن الحيوانات

---

37 Ahmed Saied, Op.cit.,23.

[٣٨] يطلق عليها أيضا صلاية النخلة والزرافتين

[٣٩] ٢٣x ١٧ سم ، انظر :

K. Cialowicz, Les Palettes Ègyptiennes aux Motifes Zoomorphes et sons dècoration edutes de l art prèdynastique, Kraków, 1991, 47,fig.12a-b

[٤٠] يطلق عليها أيضا صلاية هيراكونبوليس الصغرى ، لتتميز عن صلاية نعرمر الشهيرة ، انظر :

Cialowicz,Op.cit, 44,fig.11a-b

41 W.Westendorf., SAK 6 (1978),205 ; id, in Frühe Schriftzeugnisse der Menschheit : Vorträge gehalten auf der Tagung der Joachim Jungius-Gesellschaft der Wissenschaften Hamburg am 9.und 10.Oktober 1969, 56-87 , 68 (.In geschichtlicher Zeit hat dieser Vogel als Hieroglyphe den Lautwert " nH " und dient zur schreibung des Sonnengottes in seiner Eigenschaft als periodisch wiederkehrendes Sonnenlicht.)

42 Cialowicz,Op.cit, 48,fig.18.

انظر : على رضوان المرجع السابق ، ص ٥٦

[٤٣] ٥و٢١ سم ، متحف القاهرة .

[٤٤] ظهر هذا الشكل أيضا ضمن نقوش حضارة سوسة ، U. Sievertren, Baghdader Mitteilung, 23(1992) 33ff ولكن فى وجهة نظر الباحث أن المعاني لابد أن تكون مختلفة أيضا

المهاجمة ظهر الكائن المركب الممثل للجريفث برأس صقر وجناحين ومخالب طائر ومؤخرة نمر أو أسد[٤٥] . (لوحة ٨ : شكل ٢).

٥. **صلاية " نعرمر "** [٤٦] بمتحف القاهرة ، وتشير نقوشها إلى أخر مراحل كفاح ملوك هيراكونبوليس / نخن (الكوم الأحمر) في سبيل توحيد مصر ونشأة الدولة على يد آخر ملوك الأسرة "صفر" أي نعرمر وربما والد الملك "حور عحا " أول ملوك الأسرة الأولى والموحد الفعلي لقطري مصر الشمالي والجنوبي . [٤٧] وما يهمنا هنا من نقوش هذه الصلاية النقش الأوسط لواجهة الصلاية ، والذي يشير إلى استمرارية الإشارة إلى حيوانات الشمس والى إصرار ملوك الأسرة صفر على إظهار إيمانهم بالديانة الشمسية بجانب تبعيتهم إلى الإله حورس الذي ارتبط هو الآخر بالعقيدة الشمسية بعد ذلك [٤٨]. حيث جسدت بؤرة الصلاية بواسطة تعانق رقبتين لاثنين من الكائن النمرى ذى الرقبة الثعبانية ، بينما نرى على يمين اللوحة رجلا غير مرتكز على ذيل الحيوان الخرافي ويرخى حبلا ممسكا برقبة الحيوان ، وفى المقابل رجلا أخر مرتكزاً على ذيل الحيوان ويشد الحبل الممسك بالرقبة بيديه، وكأن هناك حركة دائرية تسير من عند الحبل المرخي حول البؤرة لتصل إلى الحبل المشدود ، وهنا يرى "فيستيندورف" أن الرجلين يمثلان إلهي الأفق وأن تلك الحركة تعبر عن الدورة الشمسية من الغروب إلى الشروق على سفح السماء ، حيث إن المصري القديم كان يعتبر أن اتجاه الشمس نحو اليمين يعنى اتجاهها نحو الغرب[٤٩].كما أن موكب نعرمر في الصف العلوي يتجه أيضا إلى نفس الاتجاه نحو الشرق ، حيث يقع معبد بوتو. (لوحة ٩ : شكل ١).

وقد اختفت تلك الحيوانات من التصوير في مصر بعد ذلك لأن دورها قد لعبته آلهة بعينها، بينما ظهر **"الجريفون"** مرة أخرى في الدولة القديمة على سطوح جدران الطرق الصاعدة لبعض المجموعات الهرمية لملوك الأسرتين:الخامسة والسادسة ثم في الدولة الوسطى واستمر في الدولة الحديثة وحتى العصر البطلمى [٥٠] وارتبط بالعقيدة الملكية وأيضا الشمسية ، كما تم تصوير الآلهة دائما ذات الصبغة

---

[45] Asselberghs, Henri ,Chaos en Beheersing : Documenten uit Aeneolithisch Egypte, Leiden, 1961, Pl. 33,46;R.Boehmer, AMI,7(1974) 22; Westendorf, SAK6, (1978) 214.

[٤٦] صلاية هيراكونبوليس الكبرى ، طولها ٦٨ سم ، انظر :

Asselberghs, Op. cit وPl. 95 , Quibell, Arch. Object., 312-315; cf Westendorf,ZDMG118,(1968),254;

[٤٧] عن ملوك الأسرة صفر وسبيلهم لتوحيد مصر انظر :

Dreyer, Günter ,"Hours Krokodil, ein Gegenkönig der Dynastie 0." In : The Followers of Hours : studies dedicates Michael Allen Hoffman 1944-1990, Oxford, 1992, 259-261, id, MDAIK 49 (1993), 23-62; Ahmed saied, Op.cit.,

على رضوان ، المرجع السابق ، ٥٤-٥٥

[48] Ahmed saied, Op.cit.,61 ff.

[٤٩]

W.Westendorf., SAK 6 (1978), 212 ; id, in Frühe Schriftzeugnisse der Menschheit, 69

[٥٠] الاسم المصري القديم "تشتش" ، سفر ، زاجت

Barta,W.,JEOL 23,(1975,335 ff,

راجع :

E.Hornung, St.G 20 (1967), 81 ; Bonnet, RÄR, 262-63 ; Altenmüller, Apotropaia, 33 ff ; E.Eggehrecht, LÄ II, 895-96.

الحيوانية برأس الحيوان وجسم الإنسان[٥١] وهو ما يدخل ضمن فكرة الكائن المركب . هذا فضلا عن استمرار أشهر الأشكال المركبة وهى "أبوالهول " طوال التاريخ المصري والذي ظهر مجنحا في بعض الأحيان مثل نقش الملك تحتمس الرابع تحت حماية الإله منتو[٥٢].

أما عن **الحيوانات ذات الرأسين** فقد ظهر في مصر فيما قبل التاريخ الثور ذو الرأسين المتدابرين على صلاية صيد الأسود[٥٣](لوحة ٩ : شكل ٢) والذي ارتبط بمقصورة الشمال دلالة على تقديس معبود في تلك الهيئة ، وقد ظهر في متون الأهرام بعد ذلك تحت اسم "خنس (المقولة ٤١٦ وقارن المقولة ١٢٦٦)[٥٤].
أما عن الأسد ذى الرأسين المتدابرين فقد ارتبط هذا الشكل أولا بالديانة الشمسية وعلامة الأفق (آخت) وثانيا برمز المعبود أكر إله الأرض والذي كان لعبادته منذ بداية الأسرات شأن لا بأس به[٥٥] حيث ظهر على كثير من الأختام التي ترجع لهذا العصر(لوحة ١٠ : شكل ١).

وبالنسبة **لحيوان ست** في مصر فقد ظهر رمزا لعبادة هذا المعبود منذ حضارة نقادة الأولى وارتبط شكله الخرافي بسمات هذا المعبود الكونية التي ارتبطت بالظلام والرعد والبرق منذ نشأته ولذا فلم يجد المصري رمزا طبيعيا يدل على تلك الصفات في أي كائن حي طبيعي ، فاتجه إلى تصويره في هيئة خرافية .[٥٦] تجمع بين ابن آوى والحمار وكائن ذو فم ممدود وذيل غير طبيعي (لوحة ١٠ : شكل ٢).

وأخيرا فإننا نختتم تلك الدراسة بأنه ، إذا كان هناك تأثير وتأثر في ظهور أشكال الكائنات الخرافية في بلاد الشرق الأدنى ، فإن ذلك قد تم عن طريق الاحتكاك على الحدود دون الأخذ بفكرة فرض السيطرة الحضارية من خلال استقرار أو غزو بين

---

[٥١] انظر : إريك هورننج ، ديانة مصر الفرعونية / الوحدانية والتعدد ، ترجمة محمود ماهر ومصطفى ابوالخير ، القاهرة ١٩٩٥ ، ١٢٢ وما بعدها

[٥٢] انظر : ، يارسلاف تشرني ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة أحمد قدرى ، القاهرة ١٩٩ ، ٤٢ ؛ قارن ، سليم حسن ، أبوالهول تاريخه فى ضوء الكشوف الحديثة ، ترجمة جمال الدين سالم ، القاهرة (مكتبة الأسرة)١٩٩٩ ، ص. ١١٠

[53]Petrie, Ceremonial Slate Palettes,BSEA66A, Pl.B8,C9; cf H.Altenmüller,. LÄIII,235 Anm.5;L.Kákosy, LÄIV, 145

[54]K.Sethe, Op.cit, I, 217,II,215;cf. H.Altenmüller,LÄII, 75-76; W.Helck, LÄVI,788

[55]Ahmed Saied , Op. Cit, 33 ff.

عن المعبود "آكر" انظر :

Bonnet, RÄR, 11-13 ; E:Hornunng, LÄ I, 114-115 ; Brigitte Altenmüller, Synkretismus, 13-14.

[٥٦] راجع عن المعبود "ست"

A.Scharff, ZÄS 61 (1926), 16 ff ; Bonnet, RÄR, 702 ff ; Helck, Wb. der Mythology., 396-399 ; Brigitte Altenmüller, Synkertismus, 198ff ; B.L.Begelsbacher, Götterwelt, 178-183 ; Kees, Götterglaube, 21 ff ;id., Horus und Seth I, II ; H.Te Velde, Seth God of confusion, 1967 ; id., LÄ V ; cf.. E.Otto, WdO I, (1952) ; V.Ions, Die Götter und Mythen Ägypter, 63 ff ; vgl. H.Junker, ZÄS 75 (1967), 63 ff ; Ahmed Saied , Op. cit ,.193 ff..

شعب وشعب ، مع الأخذ في الاعتبار ذوبان الأفكار داخل النمط الحضاري والأفكار المستقلة لكل شعب على حدي.

وإذا لم يكن هناك تأثير وتأثر فلعل ذلك يدل على تواصل الفكر الحضاري من خلال توارد الخواطر إبان تلك الفترة فيما بين ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م ، بين أبناء الشرق القديم لما فرضته عليهم مقومات بيئتهم المتشابهة وكذا اقتراب بعض العقائد بينهم .

اللوحة (١)

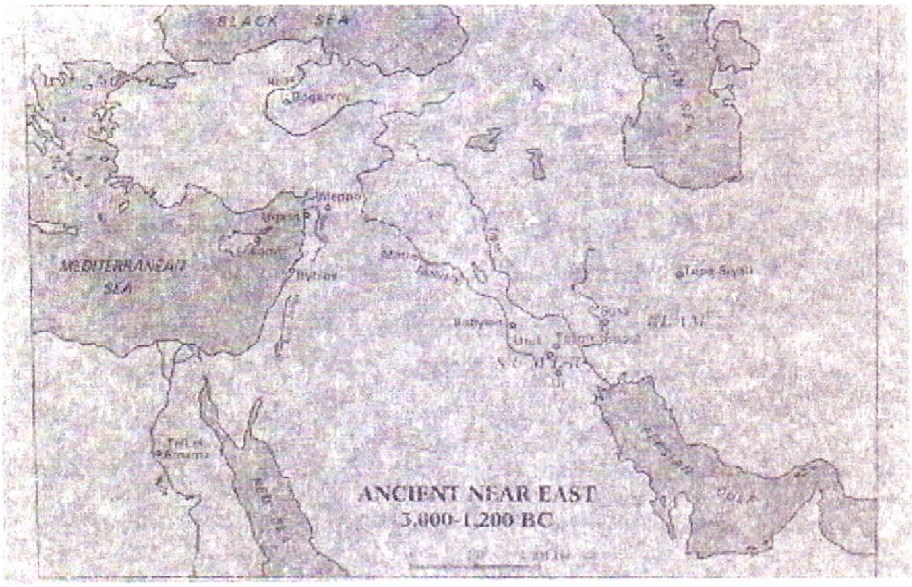

شكل (١)
خريطة الشرق الأدنى القديم من ٣٠٠٠ إلى ١٢٠٠ ق.م

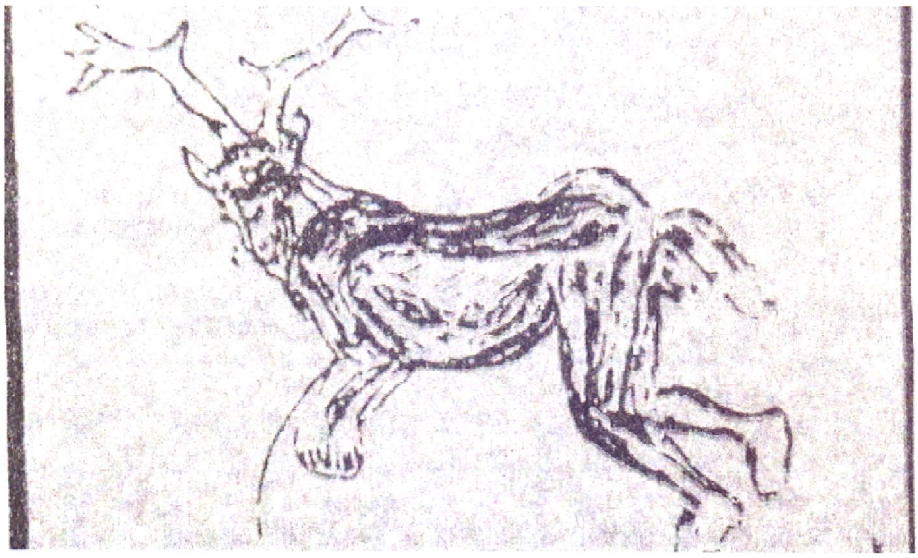

شكل (٢)
الكائن الخرافى أو المركب ،المدعو ساحر كهف الأخوة الثلاثة فى العصر الحجرى القديم الأعلى ،فرنسا.

اللوحة (٢)

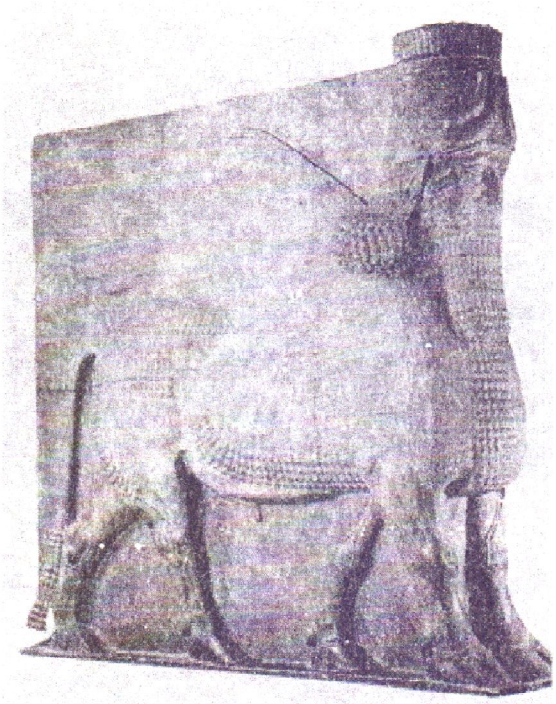

شكل (١)
الثور المجنح ذو الرأس الآدمية ، الحارس لقصر سرجون الثانى فى خربساد ،العصر الآشورى الحديث ،متحف اللوفر.

شكل (٢)
طبعت ختم ، من الوركاء ، الطبقة السادسة ،تظهر الكائن المجنح (الجريفث)، متحف اللوفر.

اللوحة الثالثة

شكل (١)
طبعة ختم من مرحلة "جمدة نصر "تظهر الكائن المجنح (الجريفث)

شكل (٢)
طبعة ختم من مرحلة "جمدة نصر "تظهر الكائن المركب الممثل للرجل الثور مصارع الوحوش وكذا الرجل ذا مؤخرة الأسد ،متحف العراق.

اللوحة (٤)

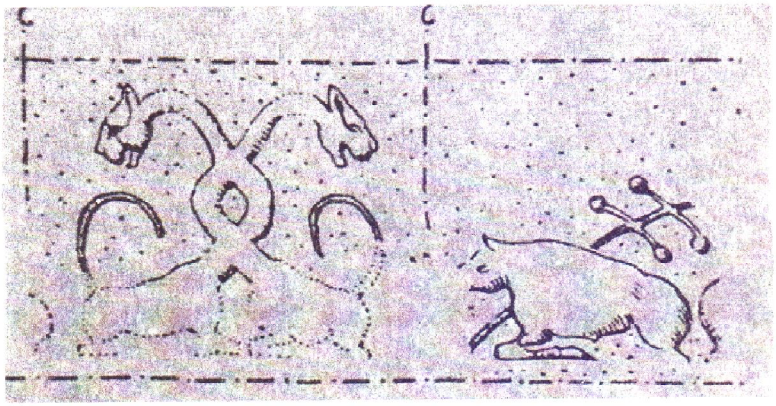

شكل (١)
طبعة ختم من الوركاء تظهر الكائن الخرافى ذا الرقبة الثعبانية مع جسم ورأس أسد.

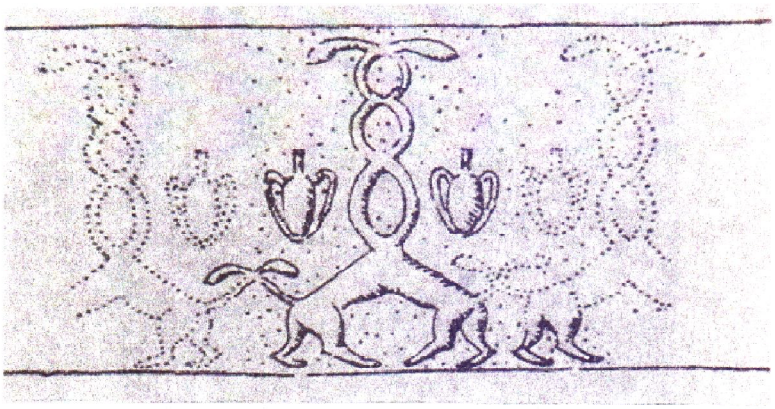

شكل (٢)
طبعة ختم من الوركاء تظهر الكائن الخرافى ذا الرقبة الثعبانية مع جسم ورأس أسد.

اللوحة (٥)

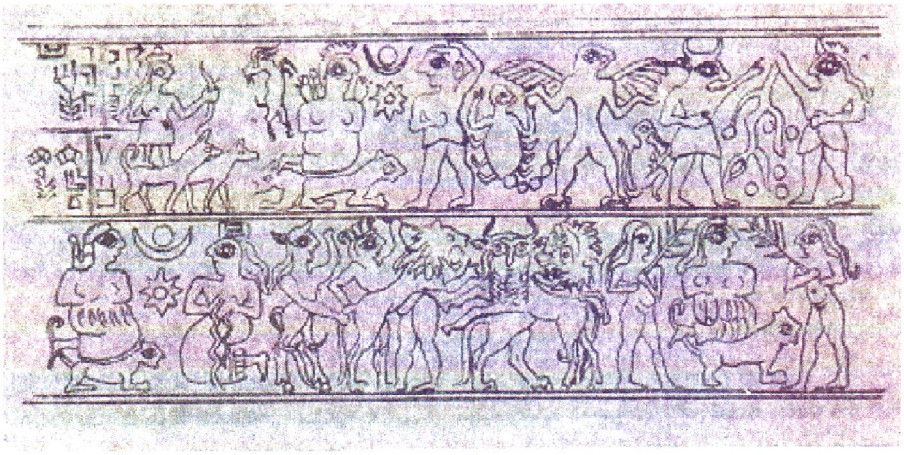

شكل (١)
طبعة ختم من "سوسة" بإيران ،تظهر الكائن المجنح (الجريفث)، متحف اللوفر.

شكل (٢)
كائن خرافى بجسم إنسان ورأس أسد ،عصر جمدة نصر ،متحف بروكلين.

اللوحة (٦)

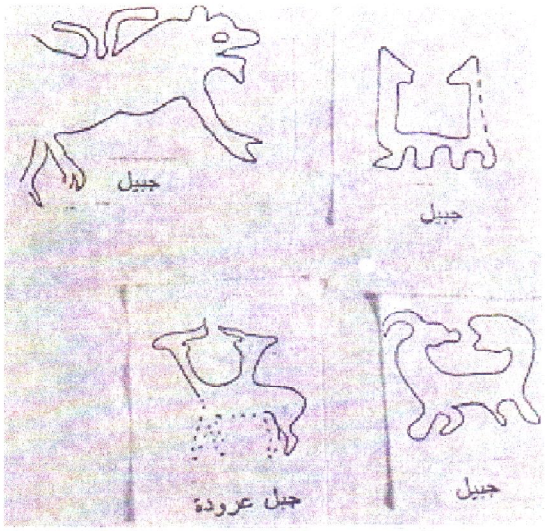

شكل (١)
نموذج لإشكال الحيوانات ذات الرأسين من سوريا القديمة.

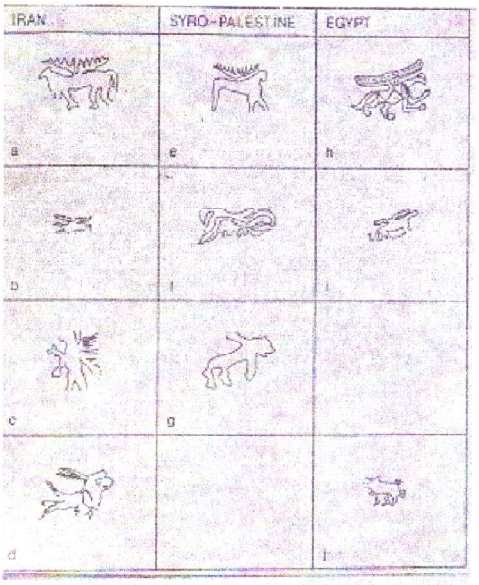

شكل (٢)
نماذج الكائنات المجنحة فى إيران وسوريا ومصر فيما قبل التاريخ.

اللوحة(٧)

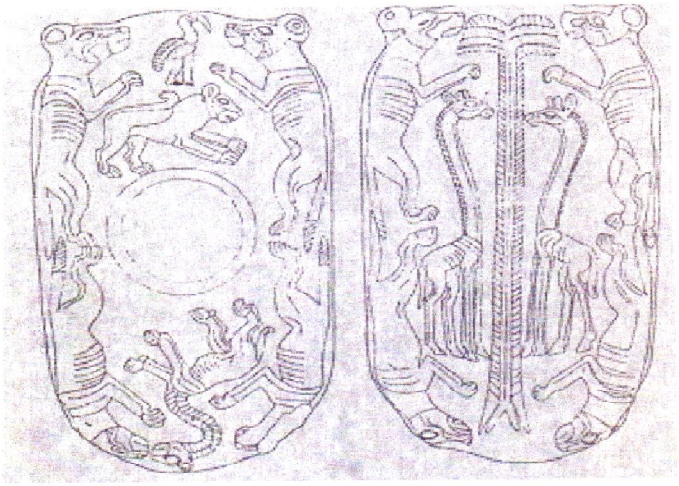

شكل (١)

صلاية الأربعة أبن آوى، يظهر على واجهتها الكائن ذو الرقبة الثعبانية حاميا للشمس ،متحف اللوفر.

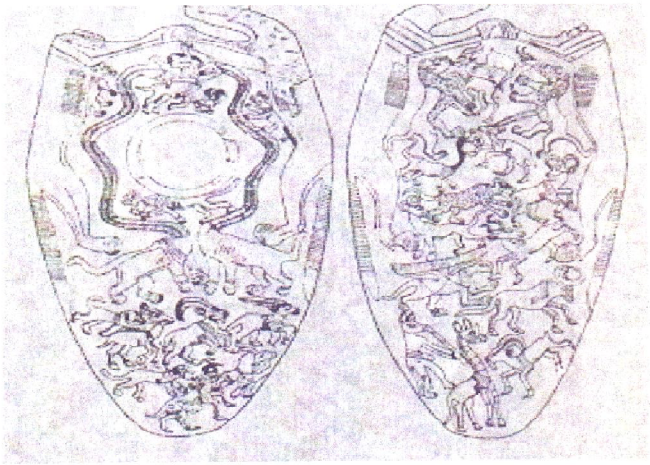

شكل (٢)

صلاية حيوانات الشمس ،يظهر على الوجه الكائن ذو الرقبة الثعبانية كحامى ومدافع عن الشمس ،وعلى الظهر نرى الكائن المجنح (الجريفث).،متحف الاشموليان /اكسفورد.

اللوحة (٨)

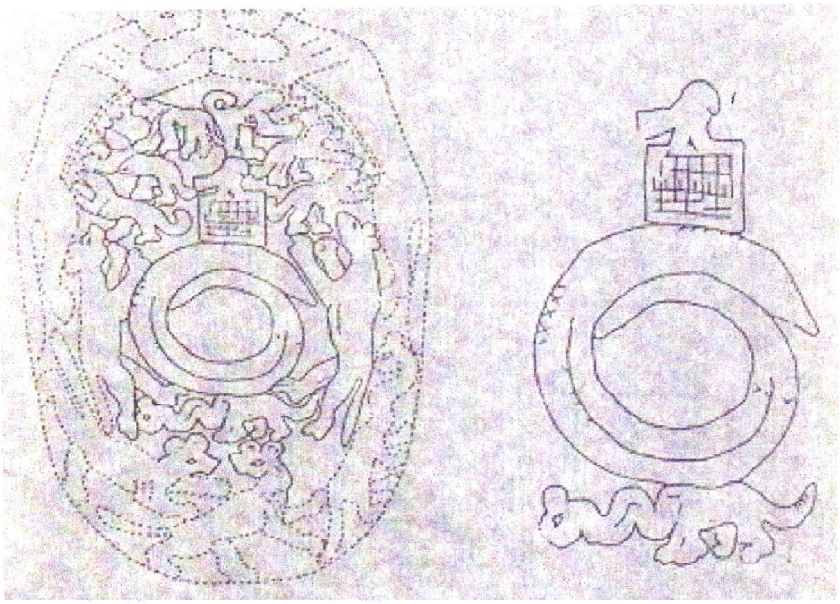

شكل (١)
صلاية البؤرة الثعبانية ،يظهر على واجهتها الكائن ذو الرقبة الثعبانية رافعا لبؤرة الصلاية الثعبانية أيضا والممثلة لقرص الشمس ،متحف التروبولتان.

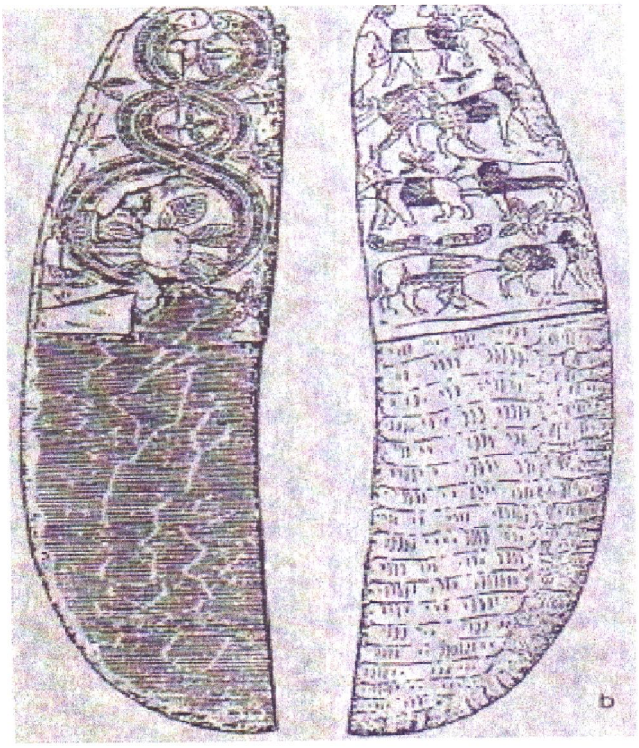

شكل (٢)
سكين جبل الطارف ، يظهر على مقبضه الكائن المجنح (الجرفث).

اللوحة(٩)

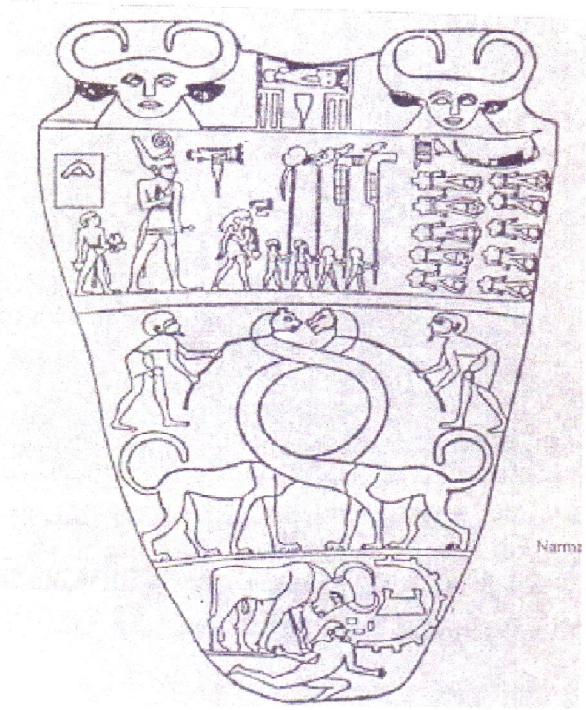

شكل(١)

صلاية نعرمر، يظهر على الواجهة كائنان من ذوات الرقبة الثعبانية يجسدان بتعانقهما بؤرة الصلاية الممثلة لقرص الشمس بينما يمسك بهما إلهى الأفق.

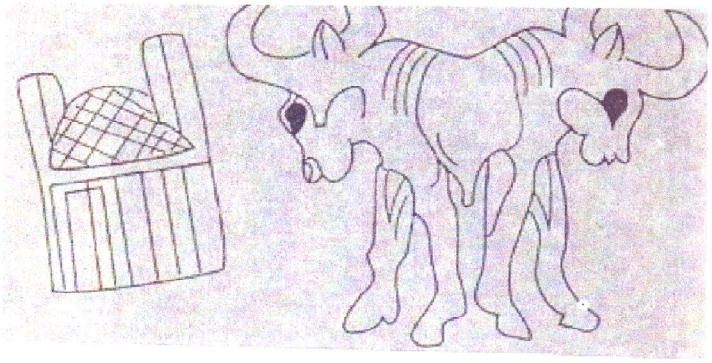

شكل (٢)

الثور ذو الرأسين مع مقصورة الشمال ،على صلاية صيد الأسود.

اللوحة (١٠)

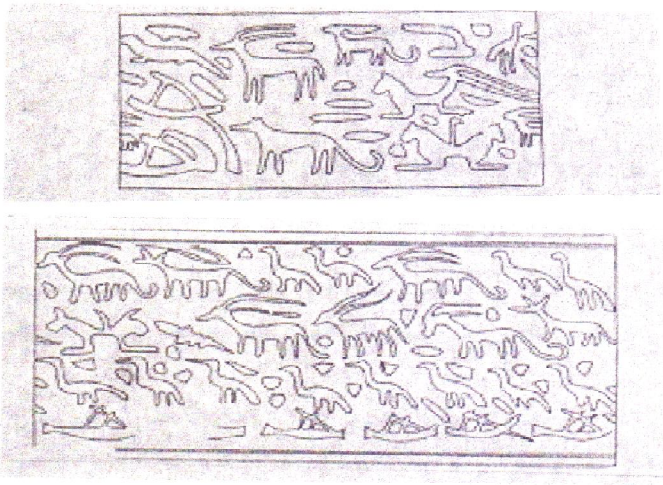

شكل (١)
طبعتى ختم ترجع للعصر العتيق ،يظهر عليهما أحد الأسماء الشخصية المنتسبة للمعبود (آكر) الممثل على هيئة كائن برأسى أسد، أو أسدين متدابرين.

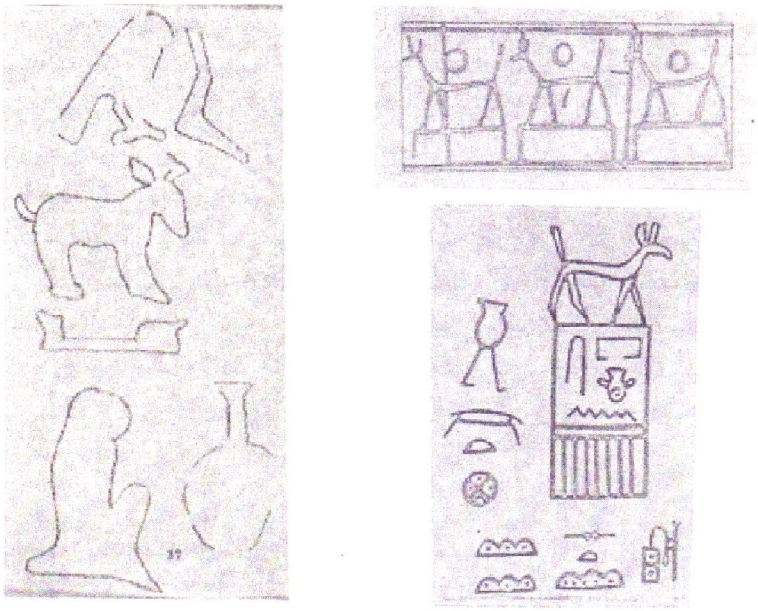

شكل (٢)
صورة الحيوان الخرافى ، رمز المعبود ست ،الذى يجمع بين ابن آوى والحمار وربما أحد الحيوانات ذو الفم الممدود (الأسرة الأولى).